المبحث السادس
التعاون

التعاون من الثمرات المرجوة من المعرفة بواجبات الدعاة، وهي كذلك ثمرة من ثمرات التآخي والتعارف والتآلف والتفاهم بين الدعاة.

ولبيان واجب التعاون بين الدعاة نتطرق للنقاط التالية[١]:

أولاً: مفهوم التعاون:

التعاون: مصدر تعاون مأخوذ من «العون» الذي يراد به المظاهرة على الشَّيء، فالعون الظَّهير على الأمر، **والمعونة**: الإعانة، وكلُّ شيء أعانك فهو عون لك، كالصَّوم عون على العبادة[٢]، وتعاون الأعوان: إعانة بعضهم بعضاً[٣].

ويمكن تعريف التّعاون بصفة عامة بأنه: أن يظاهر المسلم أخاه ويعينه في فعل الخيرات، وعلى طاعة الله ﷻ وتجنّب معصيته[٤].

أما التعاون بين الدعاة فهو: أن يظاهر الداعية أخاه الداعية، ويعينه في فعل الخيرات والدعوة إلى الله ﷻ، والوقوف صفاً واحداً في وجه أعداء الإسلام ومن يرغب في تفريق المسلمين[٥].

---

(١) كثير من أفكار هذا المطلب تم تلخيصها من بحث بعنوان: التعاون بين الدعاة مبادئه وثمراته، للشيخ صالح بن عبدالله بن حميد، منشور في مجلة البحوث الإسلامية، العدد ٥١، ص١٩٥-٢٢٨.

(٢) لسان العرب ٥/ ٣١٧٩- ٣١٨٠، وانظر: الصحاح للجوهري ٦/ ٢١٦٨- ٢١٦٩.

(٣) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، الفيروزآبادى ٤/ ١١٣.

(٤) نضرة النعيم ٣/ ١٠٠٨.

(٥) التعاون بين الدعاة أهميته وثماره.. الشيخ/ مراد بن أحمد القدسي.

ثانياً: أهمية التعاون عامة:

التعاون فطرة بشرية كونية بين الناس جميعا، فقد خلق الله الإنسان مدنيًّا بطبعه، فركبه على صورة لا تستقيم حياته ولا يدوم بقاؤه إلا بمعاونة غيره له، فسخر الله الناس بعضهم لبعض في الغذاء والكساء والتصنيع والحماية، بما لا يستطيع أحد منهم أن يستقل بنفسه البتة، قال تعالى: ﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا﴾ [الزخرف: ٣٢].

فالاجتماع والتعاون والتضامن ضروري لنوع الإنسان؛ لتتحقق الحياة على وجهها، ويهنأ له العيش، ويتمكن من القيام بمهمة الاستخلاف وعمارة الأرض بمقتضى قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ [هود: ٦١]، وقوله سبحانه: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا﴾ [الزخرف: ٣٢]، وقوله سبحانه: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ﴾ [الأنعام: ١٦٥].

ولذا فالقرآن يأمر بالتعاون لعظيم الأجر والنفع لمن أخذ به، قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [المائدة: ٢] «فالله سبحانه يوجب على الناس إيجاباً دينيًّا أن يعين بعضهم بعضاً، في كل عمل من أعمال البر التي تنفع الناس أفراداً وأقواماً، في دينهم ودنياهم، وكل عمل من أعمال التقوى التي يدفعون بها المفاسد والمضار عن أنفسهم»[1].

وقد جاء التمثيل النبوي لأهل الإيمان أنهم كالجسد الواحد، فقال رسول الله ﷺ: (ترى المؤمنين في تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم، كمثل الجسد، إذا اشتكى عضوا

(١) تفسير المنار ٦/ ١٣١.

تداعى له سائر جسده بالسهر والحمى)(١)، وكالبنيان كما قال النبي ﷺ: **(المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً ثم شبك بين أصابعه)**(٢).

وكذلك في عموم قوله ﷺ: **(والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه)**(٣).

ثالثاً: أهمية التعاون بين الدعاة خاصة:

الأصل في أهمية التعاون بين الدعاة، قوله تعالى على لسان موسى عندما كلفه بالرسالة: ﴿ **وَٱجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي ﴿٢٩﴾ هَٰرُونَ أَخِي ﴿٣٠﴾ ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِي ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكْهُ فِيٓ أَمْرِي** ﴾ [طه٢٩-٣٢].

وقوله تعالى: ﴿ **وَأَخِي هَٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِيٓ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿٣٤﴾ قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَٰنًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِـَٔايَٰتِنَآ أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلْغَٰلِبُونَ** ﴾ [القصص٣٤، ٣٥].

وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا **قالت**: قال رسول الله ﷺ: **(من ولاه الله عَزَّ وَجَلَّ من أمر المسلمين شيئاً فأراد به خيراً جعل له وزير صدق، فإن نسي ذكَّره، وإن ذكر أعانه)**(٤).

فمن خلال التعاون بين الدعاة يمكن أن توظف الأموال والأوقات، والطاقات والأفكار، وكافة الجهود التوظيف الصحيح.

وإذا لم ينجح الدعاة في التعاون بالشكل المطلوب، سيؤدي ذلك لهدر الطاقات، وزيادة أعباء الدعوة على الأفراد و الجماعات والمؤسسات، واستهلاك أموالٍ وأوقاتٍ مع ضعف في الانتاج الدعوي؛ مما يؤدي إلى الفتور والضعف.

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب رحمة الناس والبهائم (٦٠١١)، ومسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم (٢٥٨٦).

(٢) تقدم تخريجه ص١٤١.

(٣) تقدم تخريجه ص١٤١.

(٤) مسند أحمد ٤٠/ ٤٧٦ (٢٤٤١٤)، وقال شعيب الأرناؤوط: صحيح، سنن أبي داود، كتاب الخراج والإمارة والفيء، باب في اتخاذ الوزير (٢٩٣٢)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٠٣).

ولذا ينبغي أن يعي الدعاة أن من أسرار النجاح في العمل الدعوي التعاون بينهم.

ومن جهة أخرى فإن الصراع بين الحق والباطل تلزمه سنة المدافعة، والتي لا تكون إلا بالتعاون، قال تعالى: ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ ﴾ [البقرة: ٢٥١].

وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ ﴾ [الصف: ٤] فهنا جاء التمثيل القرآني لأهل الإيمان أنهم كالبنيان المرصوص.

«فإن الحاجة ماسة اليوم إلى التعان والاشتراك والتكاتف في هذا الأمر العظيم أكثر مما كان قبل ذلك، لأن أعداء الله قد تكاتفوا وتعاونوا بكل وسيلة للصد عن سبيل الله»(١).

قال ابن تيمية وهو في سجنه: «وتعلمون أننا جميعاً متعاونون على البر والتقوى، واجب علينا نصر بعضنا بعضاً أعظم مما كان وأشد»(٢).

والدعاة في حاجة إلى التعاون بالرأي؛ المتمثل في التشاور بين الدعاة في هموم الدعوة، بما يدل على الحق، ويخرج من الحيرة، وينقذ من المأزق والهلكة، ويقرب وجهات النظر ويردم هوة في الخلاف.

وهم في حاجة للتعاون بالجاه؛ من الشفاعة لذي الحاجة عند من يملك قضاءها، وغيرها من صور الشفاعة المستحبة والجائزة.

وكل ميادين الحياة واحتياجاتها مجال فسيحة أمام الدعاة للتعاون فيما بينهم؛ وهذا انطلاقا من قول الله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ﴾ [المائدة: ٢] قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فواجب على الناس التعاون، فالعالم يعين بعلمه، والغني بماله،

---

(١) مجموع فتاوى ومقات الشيخ ابن باز ٨/ ٤٠٥.

(٢) مجموع الفتاوى ٢٨/ ٥٢-٥٦.

والشجاع بشجاعته في سبيل الله، وأن يكون المسلمون متظاهرين كاليد الواحدة، فالمؤمنون تتكافأ دماؤهم، ويسعى بذمتهم أدناهم، وهم يد على من سواهم»[(١)].

ففي التعاون الصحيح يكون التفرغ الأكثر لأداء رسالة الدعوة ونشرها، وتوزيع أعباء الحياة ومشاغلها، فالمتعاونان يمكن أن يوزعا الوقت بينهما ليقوم كل واحد بالضروري في حياته، ومن ثم تتوفر الأوقات لعمل الدعوة والإصلاح.

وهناك جانب مهم جدًّا وهو أن التعاون يوصل إلى زيادات في الطاعة لا يصل إليها الإنسان بمفرده، كما قال موسى عندم طلب المعين: ﴿كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا﴾ [طه: ٣٣، ٣٤].

رابعاً: نماذج تبين أهمية التعاون بين الدعاة:

فهذا موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ يدعو الله تعالى أن يكون معه أخاه هارون شريكاً له في دعوته، ﴿وَاجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي ﴿٢٩﴾ هَارُونَ أَخِي ﴿٣٠﴾ اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي﴾ [طه: ٢٩ - ٣٢].

فقوله تعالى: ﴿وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي﴾ إنه الإخلاص في التعاون، فالمقصود دعوة الله ورضا الله، وإنقاذ البشرية من الظلم والجهل والقهر، وهذا يحتاج إلى معين بعد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ولا بد للداعية الصادق من نبذ حظوظ نفسه، ولذا نجد موسى عليه الصلاة والسلام أحب لأخيه أن يشاركه في تحمل العبئ والأجر والفضل، والخير فلابد في التعاون مع كل أحد، الاعتراف بفضله وأهمية دوره كشريك وليس كخادم.

فقد كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نعم المعين لأصحابه في الدعوة إلى الله ويجعلهم، يتعاونون فيما بينهم، كما حصل في بناء المسجد أول ما وصل للمدينة، فقد دهش الصحابة من النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقد خرج رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومعه حجر فتقدم أسيد بن حضير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ليحمل

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ٦/ ٤٧.

عن رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله أعطنيه؟ فقال: **(اذهب فاحتمل غيره فإنك لست بأفقر إلى الله مني)**[١] فتعاون النبي ﷺ مع صحابته، كان يزيدهم نشاطاً واندفاعاً وتفانياً في العمل.

وكما في حفر الخندق، فعن البراء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «كان النبي ﷺ ينقل التراب يوم الخندق حتى أغمر بطنه أو غبر بطنه يقول:

والله لولا الله ما اهتدينا ... ولا تصدقنا ولا صلينا
فأنزلن سكينة علينا ... وثبت الأقدام إن لاقينا
إن الألى قد بغوا علينا ... وإن أرادوا فتنة أبينا

ورفع بها صوته أبينا أبينا»[٢].

ولما بعث رسول الله ﷺ معاذاً وأبا موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا إلى اليمن قال لهما: **(وتطاوعا ولا تختلفا)**[٣].

ومن خبر التعاون قصة عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، حيث قال: «كنت أنا وجار لي من الأنصار من بني أمية بن زيد - وهي من عوالي المدينة - وكنا نتناوب النزول على رسول الله ﷺ ينزل يوماً وأنزل يوماً، فإذا نزلت جئته بخبر ذلك اليوم من الوحي وغيره، وإذا نزل فعل مثل ذلك...» إلخ القصة في خبر هجر النبي ﷺ نساءه...[٤].

---

(١) سبل الهدى والرشاد ٣/ ٣٣٧.
(٢) صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة الخندق (٤١٠٦).
(٣) صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب الأمر بالتيسير وعدم التنفير(١٧٢٣).
(٤) صحيح البخاري، كتاب العلم، باب التناوب في العلم (٨٩).

» خامساً: أقوال السلف التي تدل على أهمية التعاون:

سئل حمزة الشيباني عن الإخوان من هم؟ فقال: «هم العاملون بطاعة الله ﷻ، المتعاونون على أمر الله ﷻ، وإن تفرقت دورهم وأبدانهم»[(١)].

وقال ابن المعتز: «من اتخذ إخواناً كانوا له أعواناً»[(٢)].

وقال عبدالله بن شوذب: «إن من نعمة الله على الشاب إذا تنسَّك أن يواخي صاحب سنة يحمله عليها»[(٣)].

وقال بعض البلغاء: «صديق مساعد، عضد وساعد»[(٤)].

» سادساً: أقسام الدعاة في التعاون فيما بينهم:

يقول الإمام الماوردي، في أقسام الناس في التعاون: «الناس أقسام أربعة:

الأول: من يعين ويستعين. **والثاني:** من لا يعين ولا يستعين. **والثالث:** من يستعين ولا يعين. **والرابع:** من يعين ولا يستعين»[(٥)] ثم شرحها رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وأعظم هذه الأنواع من يعين إخوانه الدعاة، ويستعين بهم في الدعوة إلى الله، فلا يترك إخوانه بدون إعانة، ولا يستأثر هو بالعمل الدعوي ويترك طلب الإعانة والمشورة من إخوانه، فتكامل الإعانة والاستعانة حتى لا يحصل الخلل في جانب من جوانب الدعوة أو مجال من مجالاتها.

أما الداعية الذي لا يعين ولا يستعين فهو داعية محروم، يفقد الدعوة هدفها، إذ منع خيره عن إخوانه وخير إخوانه عنه.

---

(١) الإخوان لابن أبي الدنيا ص١٢٦- ١٢٧.

(٢) أدب الدنيا والدين ص٢٠٠.

(٣) الإبانة لابن بطة ١/ ٢٠٥ رقم (٤٤).

(٤) أدب الدنيا والدين ص١٦١.

(٥) أدب الدنيا والدين ص ١٧١- ١٧٢ وفيه كلام جميل وتفصيل رائع.

وأما الداعية الذي يستعين ولا يعين فهو ثقيل على إخوانه الدعاة، ثقيل على الدعوة، يأخذ ولا يعطي، وقد يصل به الأمر إلى النفعية.

وأما الداعية الذي يُعين ولا يستعين فهو داعية جيد لكنه مقصر في حق الدعوة، حيث إن تبادل الإعانة بين الدعاة أمر مطلوب، ولا يمكن لداعية واحد أن يقوم بكل متطلبات الدعوة، والتخصص الدعوي مطلوب لإتقان العمل.

سابعاً: وسائل معينة في تحقيق التعاون:

١- استشعار الأخوَّة الإيمانية بينه وبين إخوانه الدعاة:

إن من أهم صفات الداعية استشعار قيمة الأخوَّة في الله، الأخوة من أجل نصرة دين الله، أخوة يستشعر فيه الداعية أنه ليس وحيداً ولا فرداً.

وعليه فإن من أولى واجبات الداعية تجنب ما يعكر هذا الصفو، من هنات وهزات تورث نفرة القلوب ووحشة النفوس، فيتجنب العتاب والمراء والجدل، وبخاصة إذا شابه رائحة استعلاء وحب تميز وظهور، وكذلك يترك التكلف، بعيداً عن الأنانية وضيق الأفق، والتعلق بصغائر الأمور والانشغال بها، وكذلك التحرر من أمراض الحسد، وحب الزعامة، والبغي والحزبية الضيقة.

ومن ذلك الأخذ بحسن الظن المتبادل بين الدعاة، لأنه يتيح فرصاً للتفهم والتعاون ويقطع طرائق ومداخل الشيطان في النزاع والخصومة.

٢- تعميق الإخلاص في نفوس الدعاة:

هناك علاقة تنازع جلية بين بذل التعاون والرغبات الشخصية، والإخلاص في التعاون وبذله يستلزم تنازلاً عن الرغبات الشخصية والأهواء الذاتية.

ومن قام بالتعاون على وجهه، ووفى أعباءه ومتطلباته، إنما يغلب هواه، ويتجرد في إخلاصه؛ بل إنما يقدم المصالح العليا، والحاجات الكبرى، على المصالح الخاصة.

ومنه يدرك الناظر أثر التعاون الحقيقي في بناء الوحدة وكبح شر التشرذم، ومن هنا تتجلى الحسنات بين التعاون والمنافع الذاتية، إنها قضية أساسية يجب أن تحتل مكاناً أرفع لدى الدعاة والمفكرين في ميادين الدعوة.

وبهذا يتبين أن الإخلاص الصادق كفيل بإذهاب التحاسد والتنافس غير الشريف.

٣- البعد عن التعصب للأفراد والجماعات:

ليس أضر على الدعوة بعامة والتعاون بين الدعاة بخاصة من الحزبية المنغلقة والمذهبية الضيقة، بل لا يكدر صفو الأخوة الإيمانية، ولا يضعف الرابطة الإسلامية أعظم من التحزب المقيت والتعنصر البغيض.

كيف تمد جسور التعاون وأخطاء الأصحاب يهون من شأنها، ويغض الطرف عنها، وتدخل في دائرة الاجتهاد المأجور، أما غيرهم فيبسط اللسان في التشهير به، ويرفع الصوت في تكبير أخطائه، أخطاء الجماعة وأغلاطها يستجلب لها المسوغات، ويستغفر لأصحابها، فهي عندهم لا تخدش في أصل المنهج، ولا تعيق المسيرة. أما غيرهم فأخطاؤهم غير مسوغة ولا مبررة؟!

بل كيف يرجى التقارب -فضلاً عن التعاون- إذا كان المنتمي عندهم محصوراً ومحاصراً، فلا يقرأ إلا كتب الجماعة، ولا يتتلمذ أو يتلقى إلا عن شيوخ الحزب والمذهب؟!

إذن كيف يبنى التعاون مع هذا التلميذ، ضيق الأفق، مذبذب الشخصية، الذي لا ينظر إلا من زاوية واحدة، ولا يدور إلا في فكر منغلق.

٤- الاطلاع على تجارب الدعاة في التعاون:

وذلك من خلال القراءة في سير علماء السلف، والعلماء الكبار وطرحها في الساحة الدعوية، وطرح المشاريع الدعوية والتجارب الناجحة أمام الدعاة لتعطي فرصاً ليس فقط لنقل هذه التجارب والاستفادة منها، بل وتطبيع الاجتهادات الدعوية في الأساليب.. كما تعطي فرصاً للمناقشة بهدف النقد البناء وإنضاج التجربة.

ثامناً: ثمار التعاون:

آثار التعاون وثماره بين الدعاة أمر جلي بيِّن، وهو ضرورة من ضرورات الإنسان عامة، فلا تقوم الدعوة على وجهها إلا بالتعاون؛ لأن الداعية بمفرده لا يستطيع القيام باحتياجات الدعوة كلها وتحقيق أهدافه الدعوية، وهنا نشير إلى بعض ثمار التعاون بين الدعاة:

١- إمكان إنجاز الأعمال الدعوية الكبيرة التي لا يقدر عليها الدعاة منفردين.

٢- شعور الداعية بالقوة ونزع شعور العجز عن نفسه.

٣- دليل حب الداعية الخير لإخوانه الدعاة والمدعوين.

٤- سبيل لمواجهة الأخطار المحدقة بالدعوة والدعاة.

٥- التعاون ثمرة من ثمرات الإيمان فيحققه ويكمله والإيمان حاجة ملحة للدعاة.

٦- التعاون أساس التقدم والإنتاج والنجاح والتفوق.

٧- يزيل الحقد من القلوب الضعيفة، ويزيل أسباب الحسد وسبب من أسباب الألفة.

٨- التعاون طريق موصل إلى مرضاة الله ومحبته وجنته.

٩- التعاون يؤدي إلى التناوب في العمل وتقاسم العمل.

تاسعاً: معوقات في طريق التعاون بين الدعاة[١]:

إذا كان التعاون على البر والتقوى من قواعد الإسلام العظيمة، ومن الأوامر الإلهية الجليلة، والوصايا النبوية الشريفة؛ إلا أن هذا التعاون قد يعكر صفوَه أو يحول دونه بعض المعوقات التي يجد الشيطان فيها بغيته في صرف المسلمين عن التعاون في ما بينهم، لا سيما الدعاة والمصلحين. فتتباعد قلوبهم وتتبعثر جهودهم وتذهب أُلْفَتُهُم؛ فعن عمير ابن اسحق قال: «كنا نتحدث: أن أوَّل ما يُرفَع من الناس الأُلفة»[٢].

فمن هذه المعوقات:

١- الاستبداد بالرأي والإعجاب به:

فالمستبد برأيه المعجَب بنفسه شخصية يصعب التعاون معها؛ لأنه يستصغر الآخرين ويحقِّر رأيهم، ويستعظم نفسه، ولا يثق إلا برأيه، وفي ذلك الهلاك.

فعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: (ثلاث مهلكات وثلاث منجيات، وثلاث كفارات، وثلاث درجات: فأما المهلكات فشحٌّ مطاع، وهوىً متبع، وإعجابُ المرءِ بنفسه...)[٣].

٢- الخوف من تعلُّق الأتباع بالآخرين حال التعاون معهم:

فالداعية قد يكون له أتباع يحيطون به ويستفيدون منه ويأتمرون بأمره؛ ولكنه يكره أن يجلسوا إلى غيره، ويخشى إذا تعاون هو ومن معه مع آخرين أن يتم التعارف بين من معه وهؤلاء فتكون لهم علاقات معهم وربما صداقات وإعجاب... إلى غير

---

(١) معوقات في طريق التعاون بين الدعاة د. هشام عقدة، مقال تم اختصاره.

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٤/ ٧٦.

(٣) مسند البزار ١٣/ ١١٤ (٦٤٩١)، مسند أبي يعلى ٦/ ٥٠٠ (٦١١٤)، وقال الألباني حسن لغيره، انظر: صحيح الترغيب والترهيب ١/ ١٠٨ (٤٥٣).

ذلك، وهذه الخشية قد تشوب الإخلاص، ويضيع بسببها كثير من المصالح؛ فليس من الإخلاص أن يغضب العالِم أو الداعية إذا وجد تلميذه يجلس مع آخرين من الدعاة وأهل العلم، وليس من الإخلاص التفاخر بكثرة الأتباع.

فلا بد أن نحاسب أنفسنا على التجرد وطلب المصلحة العامة ولو تحققت على يد من يخالفنا؛ فالمؤمن يفرح بحصول ما ينفع الإسلام دون تعلُّق بالتفاف الأتباع حوله، وإذا كان كذلك كان أجدر أن يكون إماماً قوي الحجة رفيع القدر.

٣- الظن أن التنازل عن الرأي أو الرئاسة لحصول التعاون ضعف أو هزيمة:

وما ذاك إلا وهمٌ محضٌ من تزيين الشيطان حتى لا تقوم لأهل الإسلام قائمة، وربما أتى الشيطانُ الدعاةَ والمصلحين من مدخل: أنتم أفضل من غيركم، وأنتم أصحاب الصورة المثالية؛ فلا تسمحوا لهم أن يكون أحدهم في المقدمة... إلخ، ومن ثَمَّ يصرُّون على مقاماتهم وصداراتهم على حساب مصلحة الأمة.

فهوِّن أخا الإسلام على نفسك، ولا تنظر للآخرين من الدعاة على أنهم هباءً لا فائدة لهم، وأن الآمال معقودة بك دون غيرك؛ فهذه هي النظرة العمياء التي أضاعت التعاون فيما بين الدعاة كأفراد أو جماعات.

٤- السماع عن الآخرين أكثر من السماع منهم:

فمن العجب أن تجد داعيةً يرفض التعاون مع بعض الدعاة بحجة أنه سمع عنه كلاماً يطعن في دينه أو شخصيته أو منهجه، ولا يتوثق من هذا.

فإن أهم خطوات التعاون أن يسمع الدعاة من بعضهم دون وساطة، فكم من مصالحَ دعوية تعطلت بسبب سماع الدعاة عن بعضهم، بدلاً من سماعهم من بعضهم.

٥- الثوابت الوهمية التي يُنظَر من خلالها للآخرين على أنهم مخالفون:

فالبعض درج على اعتبار بعض الأمور من المسلَّمات؛ سواء في مسائل علمية ألحقوها بالعقيدة؛ أو في ممارسات وفروع عملية؛ مع أنها أمور لم يقع فيها إجماع صريح، وكلها في محل الاجتهاد؛ وغاية الأمر أن يكون المخالف مخطئاً غير خارج عن عقيدة أهل السُّنة ومنهجهم، ولا يكون تبنِّيه لاجتهادٍ مخالفٍ مسوغاً لمنع التعاون معه أو التهكم عليه أو الاستهزاء به.

ومن ثَمَّ وجب علينا الانضباط بالشرع وبما عليه أهل العلم، من إقامة العذر بيننا في مواطن الخلاف، ومن الامتناع عن تبديع كل من أخطأ في مسألة خطأً لم يخالف فيه إجماعاً لأهل السُّنة، وإذا لم تتسع صدور العلماء لذلك فسيخسرون بعضهم، وتنسد أبواب التعاون والتكامل في ما بينهم دون سببٍ مقبولٍ (شرعي أو عقلي). ونحن الآن في وقتٍ نقاتل فيه على أصول الدين وثوابت الملة وعلى هويتنا الإسلامية؛ وتعاوننا في قَدْرٍ مُجمَعٍ عليه ولا خلاف فيه، فلا يسوغ في هذا الحال التنطع في مسائل الخلاف وتمزيق الأمة بسببها.

٦- الركون للظالمين وتقديم رضاهم وتزكيتهم على الرضا والتعاون مع الدعاة:

إن خصوم الدعوة الإسلامية يحرصون على تقريب بعض الدعاة وإبعاد بعض؛ للتمكن من زرع العداوة بين الفريقين والتمكن من ضرب بعضهم ببعض، ولا شك أن الدعاة الصادقين حين يرون ارتماء الآخرين في أحضان الخصوم يزدادون نفوراً منهم، وتتسع الهوة، والله جلَّ وعلا، حذَّرَ نبيَّه ﷺ وهو خير البرية من مجرد الاقتراب من الركون لأعداء دينه، فقال: ﴿ وَإِن كَادُوا۟ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ لِتَفْتَرِىَ

عَلَيْنَا غَيْرَهُۥ وَإِذًا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلًا ﴿٧٣﴾ وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴾ [الإسراء٧٣- ٧٥].

فبعض الدعاة يغتر حين يعطيهم الخصم من القول معسولَه ويقابلهم بالبشاشة ويمدح دعوتهم واعتدالهم ويفتح لهم الأبواب ويقرِّبهم؛ فيعدُّ ذلك مكاسب دعوية وينسى قول الحق تبارك وتعالى لنبيه ﷺ: ﴿ وَدُّواْ لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ﴾ [القلم: ٩].

فعلى الدعاة أن يكونوا بإخوانهم الصادقين وإن كان فيهم من النقص ما فيهم؛ ولا يؤْثِروا عليهم المنحرفين والعَلمانيين مهما أبدوا لكم من معسول القول وجميل المواقف.

عاشراً: تنبيهات في التعاون بين الدعاة:

التنبيه الأول: لا تعاون في معصية الله:

قال تعالى: ﴿ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ﴾ فقد نهى الله تعالى عن التعاون على باطل وما فيه إثم وعدوان، كتعاون بعض الدعاة لإفشال بعضهم، أو إثارة الناس وولاة الأمر عليهم، عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قا: قال رسول الله ﷺ: **(من أعان على خصومه بظلم لم يزل في سخط الله حتى ينزع)**[(١)].

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: **(ومن قتل تحت راية عمية، يغضب للعصبة، ويقاتل للعصبة فليس من أمتي)**[(٢)].

---

(١) مسند أحمد ٩/ ٢٩٣ (٥٣٨٥)، وقال شعيب الأرناؤوط: إسناده صحيح، وسنن ابن ماجه، كتاب الأحكام، باب من ادعى ما ليس له وخاصم فيه (٢٣٢٠) وصححه الالباني في الصحيحة (١٠٢١)، سنن أبي داوود، كتاب الأقضية، باب فيمن يعين على خصومة من غير أن يعلم أمرها (٣٥٩٩).

(٢) صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب الأمر بلزوم الجماعة عند ظهور الفتن وتحذير الدعاة إلى الكفر (١٨٤٨).

التنبيه الثاني: المبادرة في إفساح المجال للدعاة في المشاركة والتعاون:

فليعلم رجل الدعوة أنه إن كان يضيق ذرعاً بمساعدة إخوانه ومبادراتهم ومناصحتهم وتوجيههم وفتح الميادين الواسعة أمامهم، فعليه أن يبادر بفسح المجال للكفء الأمين بالإسهام في ميادين الدعوة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. ويكفي نبراساً وقدوة تضرع موسى عليه السلام إلى ربه في أخيه هارون عليه السلام: ﴿ وَأَشْرِكْهُ فِيٓ أَمْرِي ﴾.

التنبيه الثالث: التعاون يتأكد كلما كان الدعاة أقرب:

«اختار موسى أخاه لأن هذا اختصاص وحظوة، والقريب أحق بالبر وأولى بالإدناء. واختيار موسى لأخيه لأن القريب مظنة النصح، بل خص من الأهل الأخ لأنه أقوى في المناصحة، إضافة إلى أخوة الدين اللازمة للتعاون»[1].

(١) التعاون بين الدعاة مبادئه وثمراته– مجلة البحوث الإسلامية– العدد ٥١ – لسنة ١٤١٨هـ، ص ٢٢٤.

المبحث السابع
التشاور

التشاور بين الدعاة من الواجبات والأدبيات التي تكون بين الدعاة إلى الله، على المستوى الفردي وعلى المستوى الجمعي المؤسسي.

وإبرازاً لهذا الجانب بين الدعاة نتطرق للنقاط التالية[(١)]:

❑ أولاً: مفهوم التشاور:

لغة: اسم للمشاورة، وكلاهما مأخوذ من مادَّة (ش و ر) التي تدلُّ على أخذ شيء من شيء[(٢)]، وشاورت فلاناً في أمري، وكأنَّ المستشير يأخذ الرَّأي من غيره، يقال: شاوره في الأمر مشاورة، طلب منه المشورة، وأشار عليه بكذا: أمره وارتآه له، وبيّن له وجه المصلحة، ودلَّه على الصَّواب[(٣)]، واستشرته راجعته لأرى رأيه، فأشار عليّ بكذا أي أراني ما عنده فيه من المصلحة فكانت إشارته حسنة[(٤)].

واصطلاحاً: استنباط المرء الرّأي من غيره فيما يعرض له من مشكلات الأمور، ويكون ذلك في الأمور الجزئيَّة التي يتردَّد المرء فيها بين فعلها وتركها[(٥)].

(١) للاستزادة: ينظر أقوال المفسرين عن آية سورة الشورى، وسورة المائدة، وكذلك صفة الشورى من كتاب نضرة النعيم٦/ ٢٤٢٦ وما بعدها، وبحث بعنوان: الشورى عند قادة الدعوة.. معلمة أم ملزمة؟ عبد الحميد الكبتي، منشور على موقع مداد، وبحث كذلك بعنوان: حقيقة الشورى بين الاتباع والادعاء- د. محمد بن شاكر الشريف، بحث منشور على موقع صيد الفوائد.

(٢) مقاييس اللغة ٣/ ٢٢٦.

(٣) لسان العرب ٤/ ٤٣٧، ومختار الصحاح ص٣٥٠.

(٤) المصباح المنير ١/ ٣٢٦.

(٥) الذريعة إلى مكارم الشريعة للراغب ص٢٩٤.

❑ ثانياً: الآيات الواردة في الحث على التشاور:

وردت آيتان في القرآن تدل على التشاور:

الآية الأولى: الأمر المباشر من الله تعالى لنبيه محمد ﷺ إمام الدعاة أن يشاور أصحابه الذين كانوا دعاة معه، قال تعالى: ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

عن الحسن البصري رضي الله عنه: «قال: قد علم الله أنَّه ما به إليهم من حاجة، ولكن أراد أن يستنَّ به من بعده»[(١)].

ويقول الإمام الرازي: «إنه ﷺ وإن كان أكمل الناس عقلاً إلا أن علوم الخلق متناهية، فلا يبعد أن يخطر ببال إنسان من وجوه المصالح ما لا يخطر بباله، لا سيما فيما يفعل من أمور الدنيا»[(٢)].

ينشئ الإسلام أمة، ويربيها ويَعِدُّها لقيادة البشرية. وخير وسيلة لتربية الأمم وإعدادها للقيادة الرشيدة أن تربى بالشورى، وأن تتدرب على حمل التبعة، وأن تخطئ لتعرف كيف تصحح خطأها، وكيف تحتمل تبعات رأيها وتصرفها.

الآية الثانية: وصف المؤمنين بأنهم يتشاورون فيما بينهم، قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ [الشورى: ٣٨].

«أي لا ينفردون برأي حتى يتشاوروا ويجتمعوا عليه، وذلك من فرط تدبّرهم وتيقظهم، وصدق تآخيهم في إيمانهم وتحابّهم في الله تعالى»[(٣)].

---

(١) الدر المنثور ٢/ ٣٥٨.

(٢) مفاتيح الغيب ٩/ ٤٠٩.

(٣) محاسن التأويل ٨/ ٣٧٢.

وقوله: « ﴿ بَيْنَهُمْ ﴾ أي بحيث إنهم لا فرق في حال المشاورة بين كبير وصغير بينهم بل كل منهم يصغي إلى الآخر وينظر في حصته فلا يستبد أحد منهم برأي.. أي يتشاورون فيه مشاورة عظيمة مبالغين مما لهم من قوة الباطن وصفائه في الإخلاص والنصح»[(١)].

ومع أن هذه الآيات مكية، نزلت قبل قيام الدولة المسلمة في المدينة، مما يوحي بأن وضع الشورى أعمق في حياة المسلمين من مجرد أن تكون نظاماً سياسيًّاً للدولة، فهو طابع أساسي، يقوم عليه أمرها كجماعة، ثم ينتقل من الجماعة إلى الدولة.

❑ ثالثاً: تطبيق النبي ﷺ للشورى بين الدعاة:

أثبتت السنة والسيرة النبوية أن النَّبيَّ ﷺ شاور أصحابه رضي الله عنهم، ليطيب بذلك قلوبهم، وليشجِّعهم على المضيِّ في نشر الدِّين والدَّعوة إلى الله عز وجل؛ انطلاقاً من توجيه الله تعالى: ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ ﴾ [آل عمران: ١٥٩] فقد استشار رسول الله ﷺ أصحابه في كثير من المواقف.

ومن المواقف التي استشار فيها رسول الله ﷺ صحابته تأصيلاً وتثبيتاً لهذا المبدأ:

١- استشارته لهم في الدخول في معركة بدر[(٢)].

٢- قبول إشارة الحباب بن المنذر رضي الله عنه في تغيير المكان في بدر[(٣)].

٣- استشارته لهم في أسرى بدر[(٤)].

(١) نظم الدرر ٦/ ٦٣٩.
(٢) ينظر: السيرة النبوية لابن هشام١/ ٦١٥.
(٣) ينظر: مغازي الواقدي١/ ٥٣، السيرة النبوية لابن هشام ١/ ٦٢٠.
(٤) القصة في صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب الإمداد بالملائكة في غزوة بدر، وإباحة الغنائم (١٧٦٣).

٤- استشارته لهم قبل غزوة أحد في الخروج للقتال أو البقاء في المدينة(١).

٥- قبول مشورة سلمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في حفر الخندق(٢).

٦- الشورى في الأحزاب للتخفيف عن المسلمين(٣).

٧- مشورته لهم في حادثة الإفك(٤).

٨- مشورته لأم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بعد صلح الحديبية عندما توقف الصحابة عن تنفيذ أمر النبي ﷺ لهم بالحلق والإحلال من الإحرام(٥).

وغيرها كثير لمن تتبع كتب السنة ومرويات السيرة.

❑ رابعاً: أقوال السلف في الحث على الشورى:

قال عمر بن الخطّاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «الرِّجال ثلاثة: رجل ترد عليه الأمور، فيسدّدها برأيه، ورجل يشاور فيما أشكل عليه وينزل حيث يأمره أهل الرَّأي، ورجل حائر بائر لا يأتمر رشداً، ولا يطيع مرشداً»(٦).

وقال عليٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «نعم المؤازرة: المشاورة، وبئس الاستعداد: الاستبداد»(٧).

وعن الحسن رَحِمَهُ اللَّهُ **قال:** «والله ما استشار قوم قطُّ إلاَّ هدوا لأفضل ما بحضرتهم،

---

(١) ينظر: السيرة النبوية لابن هشام ٣/ ٧١.

(٢) ينظر: مغازي الواقدي ١/ ٢١، والسيرة النبوية لابن هشام ١/ ٣٢١.

(٣) ينظر: مغازي للواقدي ٢/ ٤٧٧، والسيرة النبوية لابن هشام ٢/ ٢٢٣.

(٤) القصة في صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب ﴿ لَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا ﴾ (٤٧٥٠). ومسلم، كتاب التوبة، باب في حديث الإفك وقبول توبة القاذف (٢٧٧٠).

(٥) القصة في صحيح البخاري، كتاب الشروط، باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب وكتابة الشروط (٢٧٣٢).

(٦) أدب الدنيا والدين ص٢٦٠.

(٧) أدب الدنيا والدين ٢٦٠.

ثمّ تلا ﴿ وَأَمۡرُهُمۡ شُورَىٰ بَيۡنَهُمۡ ﴾»[(١)].

وقال الماورديّ: «اعلم أنَّ من الحزم لكلِّ ذي لبٍّ، ألاَّ يبرم أمراً ولا يمضي عزماً إلاَّ بمشورة ذي الرَّأي النّاصح، ومطالعة ذي العقل الرَّاجح»[(٢)].

قال أحدهم: «من أعجب برأيه لم يشاور، ومن استبدَّ برأيه كان من الصَّواب بعيداً»[(٣)].

وقال بعض الحكماء: «الاستشارة عين الهداية، وقد خاطر من استغنى برأيه»[(٤)].

وقال بعض البلغاء: «من حقِّ العاقل أن يضيف إلى رأيه آراء العقلاء، ويجمع إلى عقله عقول الحكماء، فالرَّأي الفذُّ ربَّما زلَّ، والعقل الفرد ربَّما زلَّ»[(٥)].

❑ خامساً: أهمية الشورى بين الدعاة:

«كلمة الشورى أجمل لفظ وأعذبه في فقه الدعوة، وغدت عند الداعية العصري: عنوان وعي ودليل فهم حضاري، وأصبحت يوماً بعد يوم تُستعمل كوصف للعمل الجاد، ورمزاً للنبل، فإذا قلت: فلان يؤمن بالشورى ويمارسها فكأنك تمدحه وتقول: هو داعية خبير في الإدارة، منصف في التعامل، واقعي في النظر»[(٦)].

فالشورى خلق وسجية، تدل على رجاحة العقل وعلى متانة العمل الدعوي.

(١) فضل الله الصمد في شرح الأدب المفرد ص ٢٥٨.
(٢) أدب الدنيا والدين ص ٢٦١.
(٣) أدب الدنيا والدين ص ٢٦٠.
(٤) أدب الدنيا والدين ص ٢٨٩.
(٥) أدب الدنيا والدين ص ٢٦٣.
(٦) الشورى عند قادة الدعوة.. معلمة أم ملزمة؟ عبد الحميد الكبتي، نقلا عن كتاب أصول الاجتهاد للأستاذ محمد أحمد الراشد.

ولذا فإن للشورى بين الدعاة أهمية كبيرة يمكن إبرازها في النقاط التالية:

- الشورى عبادة وتقرباً إلى الله ﷻ وتنفيذٌ لأمره سبحانه.
- الدعاة المتشاورون يشعرون بالانتماء إلى الدعوة وأن أمر الدعوة هو أمرهم جميعا وهو جزء لا يتجزأ من مهامهم ومسؤولياتهم.
- بالشورى يتشجع الدعاة على التفاعل الإيجابي وحبِّ التَّعاون، والتحلي بروح المسؤولية تجاه القضايا التي تهم المجتمع.
- بالشورى تتضافر الجهود وتتوزع المسؤوليات الدعوية ويوضع الفرد المناسب في المكان المناسب وبهذا نستغل الطاقات الموجودة في الأعمال الدعوية ونتخلص من الطاقات العاطلة وهو بحد ذاته تنظيم للأمور.
- في الشورى تلاقح الأفكار وتتنور الآراء وتتقارب وجهات النظر، ويحصل بذلك تآلف القلوب.
- الشورى من أسباب تمتين علاقة الصف الدعوي بعضه ببعض فتقوى شوكتهم فلا يصيرون طمعا للأعداء المتربصين بهم.
- الشورى تلغي فكرة الاستئثار بالصواب، ويقوي القدرة على التفكير المنتج.
- الشورى ترسخ فكرة اشتراك الدعاة جميعاً مع العلماء والمتخصصين في الأمة في تحمل مسؤولية البحث عن الصواب في القضايا الدعوية.
- الشورى توجِد تلاحماً حقيقيّاً بين الدعاة أفراداً وجماعات، بحيث يشعر القائمين بالدعوة أنهم أصحاب دار، ليسوا ضيوفاً أو أجراء.

- الشورى توجِد اطمئناناً لدى الدعاة والمدعوين بصواب العمل، وأنهم لا يُقادون من خلال نزعات فردية، مما يساهم بدرجة كبيرة في قناعة الناس بما يصدر من تنظيمات، أو ترتيبات، وهذا يسهم بدوره في الالتزام بها، والعمل على إنجاحها.

- الشورى تمثل دافعاً من دوافع العمل والإنتاج في العمل الدعوي؛ حيث يشعر الداعية في مؤسسته الدعوية، وكذلك المؤسسات الدعوية فيما بينها بالانتماء إلى مجتمع دعوي كبير يقدرهم ويعترف بمكانتهم، ففي الشورى يشعُر كلُّ داعية بأنَّ له مكانته وكرامته في العمل.

- الشورى تقود إلى المشاركة في العمل وتحمل المسؤولية في ذلك، وتقضي على السلبية واللامبالاة التي تعاني منها الدعوة.

- الشورى تعمل على إنضاج الآراء الدعوية، وتسهم بدور كبير في تجميع وتوحيد الجهود والتوجهات.

- في الشورى بين الدعاة إغلاقٌ لأبواب الإشاعة المؤذية وسد الفرج التي تأتي منها الفتن فلا عمل من وراء الكواليس أو في الزوايا المظلمة.

❑ سادساً: حكم الشورى بين الدعاة:

«الشورى مأمور بها في الجملة، إما أمر إيجاب وإما أمر استحباب، حسب مقتضيات الأمر الدعوي خطورته وأهميته وترك التشاور بين الدعاة تعريض لمصالح الدعوة للخطر والفوات، وتشتيت للعمل الدعوي وضعف التكامل على مستوى الأفراد الدعاة وعلى مستوى المؤسسات الدعوية.

وكذلك يؤدي إلى ضعف الموقف الدعوي في القضايا المعاصرة، وضعف الفتوى في المستجدات العلمية والفقهية.

وهناك فريق يذهب إلى أن الشورى واجبة ونتيجتها ملزمة وينبغي التقيد بما دلت عليه، بينما هناك من يقول: إن الشورى مستحبة وليست واجبة، ونتيجتها غير ملزمة، بل بوسعه مخالفتها إذا لم يقتنع بها، ويسوق كل فريق منهم الحجج التي يراها تؤيد قوله، والناظر في هذه الأقوال وما استدل به العلماء من أدلة، يمكنه القول: إن كل فريق قد أصاب فيما قال، والخطأ إنما يكمن في تعميمه لمقولته على موضوعات الشورى كلها؛ إذ هناك من الأمور ما تكون الشورى فيها واجبة ونتيجتها ملزمة حسبما يقول الفريق الأول، بينما هناك من الأمور ما تكون الشورى فيها مستحبة ونتيجتها غير ملزمة حسبما يقول الفريق الثاني، كما أن هناك من الأمور ما تكون الشورى فيها واجبة ونتيجتها غير ملزمة»[(١)].

ولا نستطيع أن نذكر بمثالاً، لأن الذي يتحكم في ذلك الحال والزمان والملابسات.. فكل قضية تدرس في ضوء المصالح ومدى أهمية وجدية التزام الشورى من عدمها.

وكذلك وهو أمر مهم جدًّا: لو التزم أفراد مؤسسة دعوية، أو إدارة مسجد أن تكون الشورى ملزمة للجميع واتفقوا على ذلك، وجب على الجميع التزام ذلك ما لم يخالف المتفق عليه أمر من أمور الدين، وذلك لأن المؤمنين على شروطهم، وهم كما وصفهم الله ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِأَمَٰنَٰتِهِمۡ وَعَهۡدِهِمۡ رَٰعُونَ ﴾ [المؤمنون: ٨]، وإلا كان لزم العضو في الشورى أن يمتنع من البداية من المشاركة في الشورى.

(١) حقيقة الشورى بين الاتباع والادعاء- د. محمد بن شاكر الشريف، بحث منشور على موقع صيد الفوائد.

❑ سابعاً: مجالات التشاور بين الدعاة:

الداعية الصادق في إيمانه ليس له إزاء ما شرعه الله إلا القبول والالتزام، والسعي في تنفيذ ما شرعه الله، وهذا يعني أن التشاور بين الدعاة لا مدخل له فيما شرعه الله تعالى؛ إذ ليس أمام المسلم إلا قبول الشريعة، وإنما يكون التشاور في:

- تحصيل أعلى المصلحتين بتفويت أدناهما، وكذلك بدفع المفاسد الخالصة أو بدفع أعلى المفسدتين باحتمال أدناهما.
- الاختيار من بين متعدد لمناسبة ظرف أو حال أو مكان.
- التشاور يكون عندما يُشْكِل الأمر في قضية ما، وعندما لا يكون الداعية أو المؤسسة الدعوية قادرة على اتخاذ القرار السليم، أو عند إرادة التأكد من صواب القرار الذي يراد اتخاذه، أو يراد التوصل إلى الأيسر والأنسب من الحلول الصالحة المتعددة.

❑ ثامناً: صورة التشاور:

- التشاور يكون بين مجموعة من الدعاة ومجموعة أخرى، أو بين أفراد من الدعاة بعضهم البعض، أو أن مجموعة تستشير فرد، أو أن داعية يستشير مجموعة.
- التشاور يكون على انفراد أو على اجتماع، وبالتواصل المباشر أو التواصل عن بعد.
- قد يكرر التشاور في الأمر الواحد إذا لم يتضح وجه الصواب، وقد يكتفي بإشارة أول من يشير عليه إذا تبين له صواب رأي المشير وصلاحه.
- التشاور ألزم عندما يكون الأمر ليس خاصًّا بفرد، بل يعم مجموعة من الناس أو الجماعة المسلمة كلها.

• الشكل الذي يتم به التشاور متروك للأمة حسب ما ترى فيه من مصالح في كل زمان ومكان.

❑ تاسعاً: أهل الشورى في العمل الدعوي:

يختلف تحديد أهل التشاور في العمل الدعوي باختلاف المجال الذي يراد التشاور فيه؛ فأمور الدين والفتوى يتشاور فيها مع العلماء المتخصصين في فنهم، وأمور الإدارة والتخطيط الدعوي لها أهلها حتى ولو كانوا من غير الدعاة.

كما تختلف إذا كان التشاور في أمور خاصة تخص داعية أو مجموعة من الدعاة، أو عمل دعوي عام أو عمل دعوي خاص.

قال ابن الجوزي: «إنما أُمر النبي ﷺ بمشاورة أصحابه فيما لم يأته فيه وحي، وعمهم بالذكر والمقصود أرباب الفضل والتجارب منهم»[(١)].

قال ابن عاشور في قوله تعالى: ﴿وَأَمۡرُهُمۡ شُورَىٰ بَيۡنَهُمۡ﴾ الشورى لا ينبغي أن تتجاوز من يهمهم الأمر من أهل الرأي، فلا يدخل فيها من لا يهمه الأمر[(٢)].

قال القرطبي: «قال العلماء: وصفة المستشار إن كان في الأحكام أن يكون عالماً دَيِّناً؛ وقلما يكون ذلك إلا في عاقل.. وصفة المستشار في أمور الدنيا أن يكون عاقلاً مجرباً وادّاً في المستشير»[(٣)].

وقال ابن قدامة: «يشاور أهل العلم والأمانة؛ لأن من ليس كذلك فلا قول له في الحادثة، ولا يُسكَن إلى قوله»[(٤)].

---

(١) زاد المسير ١/ ٣٤٠.

(٢) التحرير والتنوير ٢٥/ ١١٢.

(٣) الجامع لأحكام القرآن ٤/ ٢٥٠.

(٤) المغني لابن قدامة ١٠/ ٤٧.

وقال سفيان: «وليكن أهل مشورتك أهل التقوى وأهل الأمانة، ويشاور الموافقين والمخالفين ويسألهم عن حجتهم ليبين له الحق»[(١)].

إنه لا بد للدعاة أن يكونوا «أصحاب عقول كاملة وأن يتشاوروا مع أصحاب التجربة السالفة من إخوانهم أهل التقى والدين، وأن يكونوا في تشاورهم ناصحين وودودين، فإنَّ النُّصح والمودَّة يصدِّقان الفكرة ويمحِّضان[(٢)] الرَّأي»[(٣)].

ولا بد لمن يستشير إخوانه الدعاة أن يكون «سليم الفكر من همٍّ قاطع، وغمٍّ شاغل، فإنَّ من عارضت فكره شوائب الهموم لا يقدم مشورته لكي لا يخون إخوانه ودعوته، حتى لا يكون له في الأمر المستشار فيه غرض يتابعه، ولا هوى يساعده»[(٤)].

«فحتى يكون القرار بعد التشاور صواباً أو أقرب إلى الصواب، فلا بدَّ من اتخاذه من قِبَلِ أهله فليس كل الدعاة أو كل المؤسسات يمكن استشارتها، وليس بمعقول كذلك أن يطالب كل الدعاة بأن تعرض عليهم المؤسسة الدعوية طلب المشورة في كل أمر، فللتشاور دوائر تتناسب مع طبيعة الموضوع، ومدى سعة تأثيره، وأهمية إشاعته وغير ذلك من سياسات ضابطة للسير بالشورى، علينا أن نعيها، ولا نسير بعجلة مطالبين بالشورى معنا في كل أمر، فالرجوع إلى أهل الاختصاص في كل فن وحقل هو من أهم مفاهيم التشاور بين الدعاة.

لكن هذا لا يغني عن مشاورة عدد من أهل الشمول من بعد في نفس القضايا لاتخاذ القرار الأخير لما عند هؤلاء من سعة نظر تحيط بحركة الحياة من جميع أقطارها»[(٥)].

---

(١) حلية الأولياء ٧/ ١٢.

(٢) **يمحّضان**: يخلّصان الرأي.

(٣) نضرة النعيم ٦/ ٢٤٢٧.

(٤) أدب الدنيا والدين ص ٣٠٢.

(٥) الشورى عند قادة الدعوة.. معلمة أم ملزمة؟ عبد الحميد الكبتي - مقال: منشور على موقع مداد.

❑ عاشراً: تنبيهات حول مفهوم التشاور بين الدعاة:

✧ التشاور على المستوى الفردي أو على المستوى المؤسسي، لا بد أن يقوم على قواعد وأسس علمية منظمة.

✧ عند التشاور لا بد أن يعطى الداعية حقَّه في التفكير والتعبير، على أن يلتزم الجميع في النهاية بالقرار المتخذ، ما لم يكن ذلك مخالفاً لمبادئ الشريعة العامة والصريحة.

✧ المقصود من التشاور بين الدعاة أن يكون تشاورا حقيقيًّاً لا صوريًّاً، يجمع ولا يفرق، يزيد من قوة وصلابة الدعاة فيما بينهم على المستوى الفردي أو على مستوى المؤسسات الدعوية فيما بينها.

✧ لا بد أن تكون لكل مؤسسة دعوية طريقة واضحة في التشاور وتقديم المشورة بين أعضائها والتشاور بين المؤسسات والتجمعات الدعوية الأخرى تتناسب مع الواقع والنظم الإدارية الحديثة، وطبيعة كل عمل دعوي.

✧ لا بد أن توضع قضية التشاور بين الدعاة في مناهج التأهيل للدعوة تأصيلاً لهذا الخلق، وغرساً لأساس الشورى في جوانبها، حتى تمسي الدعوة قائمة على أرضية قوية.

✧ لا بد أن يكون من المتشاورين من يفصل في الأمر ويدير المشورة إذا كانت على مستوى عدد كبير من الدعاة أو على مستوى مؤسسي ويزداد الأمر عندما يكون التشاور في قضية دعوية تهم الأمة.

✧ عند التشاور بين الدعاة لا بد أن يبدي الداعية رأيه تبعاً لما ينفع الدين لا ما يناسب ظروفه الخاصة.

✧ عند التشاور لا بد أن يحترم الداعية رأي أخيه الداعية ولا يحقره ولا يعقب عليه بشكل مباشر ويشير إليه بالاتهام.

✧ في قول الله تعالى: ﴿وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِۖ فَإِذَا عَزَمۡتَ فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَوَكِّلِينَ﴾ بيان أن مهمة الشورى هي تقليب أوجه الرأي، واختيار واحد من الآراء، فإذا انتهى الأمر إلى هذا الحد، انتهى دور الشورى وجاء دور التنفيذ.. التنفيذ في عزم وحسم، وفي توكل على الله.

فللشورى وقتها، ولا مجال بعدها للتردد، وإلا لن ينتهي الأمر إلا إن جد جديد وتغيرت الأمور والملابسات والمعطيات.

✧ لا بد من الحذر من صور مغلوطة للتشاور بين الدعاة، مثل:

- حجب المعلومات أو بعضها أثناء أخذ الشورى.
- تزيين رأي معين لبعض الأفراد قبل أخذ الشورى بما يمنعهم من التأمل المنصف في الآراء الأخرى.
- تسفيه الرأي المخالف.
- استغلال السبق والسن والألقاب العلمية كممارسة خاطئة في توجيه الآراء.
- عدم إعطاء الفرصة الكاملة والمتكافئة لإبداء الآراء.
- إبداء المسؤول لرأيه قبل الآخرين تصريحاً أو تلميحاً.
- عدم التوقيت الصحيح والمناسب لأخذ الرأي.